ثانيا : مناهج ما بعد البنيوية

المحاضرة الخامسة :

مهاد نظري حول التلقي والتأويل .

المحاضرة السادسة : نظرية التلقي الألمانية .

المحاضرة السابعة : استراتيجية التفكيك.

المحاضرة الخامسة : مهاد نظري حول التلقي والتأويل

1_ مهاد نظري:

إن المتتبع لمسار الحركة النقدية في العقدين الأخيرين ، يجد أنّ (**القارئ**) أصبح يشكل البؤرة النقدية اللافتة للانتباه . ويكفي للتأكّد من ذلك الرجوع إلى المنجز الذي شهدته ، وتشهده الساحة النقدية المعاصرة .

بيد أنّ هذا المُنجز أو المقاربات ، التي تبنت هذا التوجه الجديد نسبيا - لاسيما في الساحة العربية – تزخر بتنوع كبير. حيث تولدت من رحمه مفاهيم ونظريات تحكمها استراتيجيات تأويل مختلفة:(النقد البلاغي والنقد السيميائي والبنيوي، والنقد الظاهراتي والنقد الذاتي، والتحليل النفسى والنقد الاجتماعي والتاريخي والنقد التأويلي...)،ولا تشكّل هذه المقاربات والنقود وحدة كلية متناغمة ، فهنالك أكثر من نوع واحد للنقد البلاغي أو التأويلي ...) غير أنّ هذه النقود والمقاربات تكاد تتفق على أنّ النص الأدبي سواء أكان شعريا ، أم سرديا ، أم دراميا (مسرحي) يرتبط وجوده ارتباطا ناجزا بقارئ أو جمهور ، وهذا ربما ما أسهم في تعاظم هذه التوجه ، الذي استطاع تثوير الأسئلة حول ما كان يُعتبر مسلمة في النقود السابقة - (القارئ) الضلع المهمل - الذي تمّ تغيبه في كل من المناهج ((السياقية والنسقية)).

هكذا شهدت الساحة النقدية المعاصرة الكثير من السجالات ، والمفاهيم المرتبطة بالقارئ ، فكثرت أنواعه وتعدّدت أصنافه.. ولعلّ أبرز قضية تمّ معالجتها من طرف المشتغلين ضمن حقل ((التنظير الأدبي))هي :التفريق الواضح والصريح بين القارئ(الملموس) ، والقارئ (المفترض) الكامن في النص . هذا الأخير أعاد ترتيب الأولويات ، وخلق تنوعات نقدية متباينة غير أنّ هذه التنوّعات ، ظلت تشترك جميعها في البحث عن سرّ ((جمال وخلود النصوص الأدبية)) .

ضمن هذا التوجّه الذي أصبح يعرف بـ ((مناهج ما بعد البنيوية)) ، نلفى نظرية ((**جمالية التلقي والتأثير**)) وهي : " نزعة ألمانية في نقد استجابة القارئ . " من بين النظريات التي أولت عناية خاصة بالقارئ باعتباره قارئا ملموسا (حقيقيا) وباعتباره قارئا مفترضا (خياليا) ؛ أي بنية تمارس وجودها داخل النص الأدبي .

وبهذا يعدّ التلقي حسب هذا الاتجاه ، بمثابة بحث عن كيفية إنتاج المعنى ؛ فليست مهمّة القارئ البحث عن المعنى المتشكل سلفا داخل النص (المقاربة السياقية والنسقية) ، لأنّ النص شكل فارغ لا يمكنه أن يحتوى على المعنى ، وإنّما مهمّته هو الكشف عن المعنى المتشكل داخل بنية الإدراك فالنص لا يكون حاضرا إلا إذا كان مقروءا ، والمعنى ليس متشكّلا داخل النص ، وإنّما يتشكّل المعنى داخل بنية الإدراك (**المتلقي**).

وبهذا ليس بالإمكان تصوّر النص في وجوده المتعيّن ، إلا من خلال تحققه لحظة القراءة ، وما دمت أنا أقرأ فحتما أنا متشكّل داخل القراءة . وما دمت أنا متشكّل داخل القراءة ، فإنّ قراءتي ستندمج ضمن سلسلة من القراءات المتعاقبة وهو ما يشكّل " **تاريخ تلقي النص الأدبي**" .

وحتى يتسنى لنا التعرف على المقترحات النقدية التي تقترحها نظرية التلقي الألمانية لابدّ من إجراء مسح نظري نتتبع من خلاله مفهوم التأويل وأهم الاشكالات التي يطرحها ، وستكون البداية مع مفهوم التأويل من منظور غربي

2- التأويل من المنظور الغربي :

تأثرت نظرية التلقي في تشكلها بالفلسفة الظاهراتية بل أنّ معظم مفاهيمها استمدتها من أعلام هذه الفلسفة **"كهوسرل" و"إنجاردن"**، وأبرز هذه المفاهيم- **مفهوم التعالي**- الذي يقصد به أنّ فهم الظاهرة خاضع للطاقة الذاتية أو الشعور الفردي الخالص.

حيث ينبع من داخل الفرد المؤول ولا يخضع لمعطيات خارجية، فالفهم عملية ذاتية يتشكل من خلالها المعنى بعيدًا عن أي اعتبارات أخرى، وقد عَدَّل **"إنجاردن"** تلميذ **"هوسرل"** من

مفهوم التعالي بتطبيقه على العمل الأدبي، إذ رأى أنّ هذا الأخير هو نتاج تفاعل بين بنية النص وفعل الفهم، أمّا مفهوم القصدية أو الشعور القصدي الآني فينصرف مفهومه إلى أنّ المعنى يتشكل من الفهم الذاتي الفردي والشعور القصدي الآني إزاء العمل، وبهذا أصبحت الذات الفاعلية مركز اهتمام الدراسات الفينومينولوجية، وعد المعنى خاضعًا للفهم وناتجًا له.[1]

كما أثر الفيلسوف **"جورج غادمير"** أيضًا في أعلام نظرية التلقي من خلال إعادة الاعتبار للتاريخ في التأويل والفهم وإنتاج المعنى، حيث أنّ الفهم لديه هو: "النظر في عمل العقل البشري ، أو إعادة اكتشاف الأنا، فهو العملية الأساسية التي بناءً عليها تتوقف معرفتنا كلها للذوات ، فهي إسقاط حياتنا الباطنية الخاصة بنا على موضوعات حولنا كي نشعر بانعكاس التجربة فينا".

ومن ثمة ففهم المؤلف يتم من خلال فهمنا نحن، كما أنّ التاريخ له دوره الفاعل في إستراتيجية الفهم على اعتبار احتوائه على الخبرات والإدراكات السابقة التي لا يستقيم الفهم إلا بها ، وهذا ما يسميه **"غادمير"بالأفق التاريخي** الذي تطور فيما بعد عند **"ياوس"**وأصبح يسمى **بأفق التوقع**.[2]

هذه بعض المفاهيم الفلسفية المؤثرة في نظرية التلقي، وسنحاول الحديث عن بعض منظري هذه النظرية بالتركيز على جهود كل من **"آيزر وياوس"**، مع العلم أنّ هذه النظرية تبلورت على يد أعلام مدرسة **"كونستانس"** الذين اعترضوا على تصورات البنيويين للأدب من خلال إعادة الاعتبار لعملية الفهم في تكوين المعنى كما قلنا سابقًا.

---

[1] بشرى موسى: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط2001، ص30.

[2] بشرى موسى: نظرية التلقي أصول وتطبيقات، ص 39.